المكتب

من وراء طاولة حديد إلى السيطرة على الحكم



قبل ثلاثة أسابيع نشرت الصحف أن ضباط المكتب الثاني أبعدوا وان مذكرة رسمية صدرت بتعيين بعضهم ملحقين عسكريين في تشيكوسلوفاكيا والارجنتين ودول افريقية ، وان البعض الآخر ألحق بقوات مرابطة على الحدود.

ابعاد ضباط المكتب الثاني ؟

كثيرون فتحوا ، من جديد ، ألبوم الصور وتفرجوا من جديد على الصور .

وكثيرون طافوا مع الخاطر في أرجاء عمر عمره ١٢ سنة مع المكتب الثاني .

من اليوم الاول الى يوم المذكرة .

من الألف الى الياء .

بعض الصور لا تنشر ولا تطلع من الألبوم .

وبعضها منشور على صنوبر بيروت . هنا بعض المنشور على الصنوبر .



شهاب .

بستاني .



جينادري .

المشوار الشاق والوعر مع المكتب الثاني في لبنان يكاد يكون ، لفرط شجونه ، ضائع الهوية والتاريخ . على الاقل بالنسبة الى بداية نشاط هذا المكتب ، وبداية خروجه عن مهمته الاصلية، وبداية نزوله الى الساحة العامة وانخراطه عمليا في الحياة السياسية كما لم تعرف الدولة من قبل.

ثمة من يقول ان التفكير بتضخيم المكتب الثاني واعطائه دورا سياسيا يعود الى عام ١٩٥٢ ، على اثر استقالة الشيخ بشارة الخوري وورود اسم اللواء فؤاد شهاب كبديل للرئيس المستقيل . يومها كان الملازم الاول أنطون سعد عائدا لتوه من أميركا فوجد فيه اللواء قائد الجيش الضالة المنشودة لما لمس عنده من ذكاء ومقدرة وتجاوب.

ولم يأت منتصف ١٩٥٣ حتى كان الملازم الاول سعد قد أصبح على رأس الشعبة الثانية يعاونه أحد الرتباء من فئة ضابط .

وثمة من يقول ان فجر المكتب الثاني طلع مع بداية العام ١٩٥٤ على اثر الخلاف الحاد الذي وقع بين رئيس الجمهورية كميل شمعون وقائد الجيش فؤاد شهاب حول العفو عن الدنادشة . وقتها وصلت بين شمعون وشهاب الى حدها ، فقدم قائد الجيش استقالته وقعد في بيته ، بينما تحرك عدد من الضباط ليضعوا مذكرة الى رئيس الجمهورية تنذره بالخلع اذا استقال شهاب . وقيل ان حميد فرنجيه وبيار اده دخلا وسيطين بين الرئيس واللواء وحلا المشكلة من دون أن تصل المذكرة — الانذار الى القصر الجمهوري في القنطاري .

والقدامى الذين اكتووا بنار المكتب الثاني من زمان ، يرجعون بالذاكرة الى العام ١٩٥٥، ليتوقفوا طويلا أمام ملابسات مقتل الضابط السوري عدنان المالكي وصعود نجم الضابط عبد الحميد السراج وانتشار شهرة المكتب الثاني السوري ... ويربطون بين ذلك العهد في دمشق وبين تفتح عيون المكتب الثاني اللبناني .

ويروى ان العلاقات بين المكتب الثاني السوري والمكتب الثاني اللبناني توطدت ، واتسعت رقعة التعاون بينهما على أكثر من صعيد . ويربط الذين عاشوا تلك الفترة بين مقتل الضابط السوري غسان جديد وبين ذلك التعاون .

ويوم اغتيل الصحافي نسيب المتني ارتسمت علامات استفهام عدة ليست أقل من العلامات التي ارتسمت يوم مقتل غسان جديد .

ثم ثورة ١٩٥٨ .

لكن ، قبل الدخول في ملابسات ثورة ١٩٥٨ لا بد من الرجوع الى البداية ، ومرافقة التطورات الصغيرة التي كانت تنشأ على هامش نشاط المكتب الثاني ، الذي أمضى طفولته في غرفة صغيرة وراء طاولة من الحديد .

لدى تأسيس الجيش اللبناني عام ١٩٤٥ تولى قائد الجيش السابق العماد بستاني تأسيس الشعبة الثانية ، فترأسها مدة من الزمن ليخلفه فيها الملازم الاول حسواني ، وبعده الملازم الاول جينادري ، ثم الملازم الاول فؤاد عوض ، ثم الملازم الاول أنطون سعد .

حتى العام ١٩٤٧ كانت الشعبة الثانية محافظة على تواضعها ، في الحجم والعمل والموازنة ، وكان اهتمامها منصرفا كليا الى امور الجيش . بعد الحرب الاولى مع اسرائيل بدأ حجمها يكبر . وصار للشعبة الثانية ضابطان واثنان من ضباط الصف بالاضافة الى المخبرين داخل الجيش.

عام ١٩٥٣ أخذ الذين في الخارج يسمعون تدريجيا بشيء اسمه الشعبة الثانية . وفي تلك السنة انشىء فرع خاص باللاجئين الفلسطينيين وسلم الى ضابط برتبة ملازم أول . وهكذا صار في الشعبة الثانية ثلاثة ضباط.

عام ١٩٥٤ بدأت الشعبة الثانية تجرب حظها مع الذين خارج الجيش . صارت بعض الصحف تتلقى مخابرات هاتفية من الشعبة الثانية حول امور تتعلق بالجيش

« بقصد التنوير » . لم يكن احد يظن ان تلك التجارب الخاطفة البريئة في ظاهرها ستؤدي في ما بعد الى الوصول بلبنان حيث وصل.

عام ١٩٥٦ تفتحت الشعبة الثانية على امور أكثر أهمية . فصار المقدم أنطون سعد يتلاقى مع بعض السياسيين، صدفة، وأصبح للشعبة الثانية أصدقاء وغيارى من المدنيين كانوا يلوذون بها ويترددون عليها وعلى المقدم سعد بصورة خاصة ، بحجة الولاء او الصداقة التي بينهم وبين اللواء شهاب .

عام ١٩٥٧ اكتسبت الشعبة الثانية ، بتخطيط منها ، اللقب المبهر الذي له ضجة : المكتب الثاني ، تيمنا بالمكتب الثاني السوري الذي كان على احسن ما يرام من التنسيق والتخطيط والتعاون مع المكتب الثاني اللبناني.

المخابرات المصرية طرف ثالث

عام ١٩٥٨ ، بعد الوحدة وقبل الثورة ، دخلت المخابرات المصرية طرفا في التفاهم . فاضطرت الشعبة الثانية في لبنان الى أن تتوسع أكثر وتوسع دائرة اتصالاتها وتضيف اليها عددا من المخبرين والعملاء والمتعاونين ، تجاوبا مع مقتضيات عملية التنسيق وكثرة الاعمال التي فرضها التفاهم مع المكتب الثاني السوري والمخابرات المصرية . واضطرت الشعبة الثانية الى ان تنزل الى الشارع وتبسط نفوذها على عناصر من القبضايات.

مطلع ١٩٥٩ مد المكتب الثاني رقعة نفوذه في البلاد . ومن أجل احكام هذا التمدد حدثت تغييرات داخلية كما استحدثت فروع جديدة: فرع داخلي ، فرع سياسي ، فرع خارجي ، فرع للاجئين ، فرع للتجسس ، ثم فرع احيط بسرية تامة ، انقض عليه قبل أشهر كمال جنبلاط ، يدعى فرع الجهاز المشترك .

وكبر حجم المكتب الثاني وكبر صيته وكبر نفوذه وكبر عدد عملائه والمخبرين فيه والعاملين فيه والعاملين تحت امرته ولوائه ، وصار هاجسا عند جميع اللبنانيين، الذين انضموا اليه وتعاملوا معه او عملوا عملاء عنده ، والذين استهدفهم تخطيطه وأساليبه ونفوذه .

الان نعود الى التفاصيل التي يعرف بعضها كثيرون والتي يجهل معظمها كثيرون.

مثلا ؟

ثورة ١٩٥٨ .

يروي بعض الضباط الذين سرحوا في عهد فؤاد شهاب ، ويؤكد ذلك سياسيون بارزون ، ان المكتب الثاني كان له الدور الكبير في تلك الثورة ، تخطيطا وتنفيذا وبداية ونهاية ، وذلك من اجل وصول شهاب الى الرئاسة ووصول المكتب الثاني الى الحكم غير المسؤول ، كما حصل في ما بعد .

وضحايا تلك الثورة لم يتوقف سيلهم بانتهاء الثورة ورفع المتاريس وتوقف أعمال العنف واعتلاء شهاب سدة الرئاسة . فقد تساقط ضحايا كثر . سموا ضحايا ما بعد الثورة . ضحايا التصفية . في طليعتهم العقيد فؤاد لحود الذي لم يكن يعجب شهاب ولا المكتب الثاني خصوصا بالنسبة الى أعماله اثناء الثورة ، لذلك فقد دفّعوه الثمن تهمة سرح بنتيجتها من الجيش تحت عنوان « متآمر لقلب الحكم بالاتفاق مع عبد الحميد السراج » ثم دفّعوه الفائدة المرتفعة جدا عندما وقع الانقلاب الفاشل وادخل لحود ثكنة المير بشير ليرى هناك، وفي ليالي كوانين ، نجوم الظهر تحت الجلد والتعذيب.

وآخرون غير لحود .



سعد .

عوض .



لحود .

الحرب النفسية

بعدما استتب الامر لشهاب ، انصرف المكتب الثاني الى تمهيد الارض تحت سلطانه . وطبيعي انه التفت ، أول ما التفت ، الى الخصوم التقليديين لشهاب والحكم العسكري ، وذلك عن طريق ايقاع هؤلاء الخصوم في مآزق حرجة واشاعة التهم ، من دون ملاحقة ، حولهم .

والذين لم يكن المكتب الثاني قادرا على أن يدق بهم مباشرة كان يطرطق على جدرانهم ، فيدق بأنصارهم .

عندما انتهت الثورة وشكلت الحكومة الرباعية بعد فرط الحكومة الاثني عشرية كان ريمون اده وزيرا للداخلية ولثلاث وزارات. ومعروف ان العميد نجح في اعادة الامن ولمع نجمه كوزير حازم وحاسم ، مما جعله يوطد علاقاته بفؤاد شهاب.

يقول اده ان هذا الامر طيّر عقل المكتب الثاني ، فانتظروه على الكوع ليدفشوه خارج الحكم ويطفوا هم على سطح السياسة ، ويظهروا كورثاء شرعيين ، ووحيدين ، لحكم شهاب .

كيف يتخلصون من اده ويزيحونه من درب طموحهم ؟

يدقون بأنصاره .

ثم يلحقون ذلك بقصص مفبركة، كانوا تدربوا عليها ، وأرسلوا ضابطا الى باريس ليتخصص فيها ثم يعود الى بيروت ليعمم ما تعلمه على رفاقه من ضباط الشعبة الثانية : الحرب النفسية .

والحرب النفسية اعتمد عليها المكتب الثاني ، مثل كل المكاتب الثانية في العالم ، لتحطيم خصومه الذين تحول أسباب ضخمة دون تصديه لهم مباشرة وبالاساليب التي يعتمدها عادة مع صغار الخصوم، بواسطة صغار العملاء.

والاصطدام الاول بين اده والمكتب الثاني حدث في يوم من شهر حزيران ١٩٥٩ . مجلس الوزراء منعقد برئاسة شهاب . يدخل عسكري ويهمس في اذن العميد اده شيئا . يستأذن اده ويخرج . يجد في الرواق ، في قصر صربا ، شقيق فيليب خير في حالة يرثى لها . سأله : شو القصة ؟ أخبره القصة .

والقصة معروفة .

لكن لا بأس في اعادة تفاصيلها.

الساعة السابعة من صباح يوم الاربعاء ١٤ حزيران وصل اثنان من الشرطة العسكرية الى محل فيليب خير وسألا عنه فلم يجداه. كان في المرفأ يخلّص بضائع . ترك الشرطيان خبرا لخير أن يذهب فور وصوله الى القيادة ليقابل ضابطا كبيرا في المكتب الثاني.

رجع خير الى محله فأخبره من في المحل . لم يدر في خلده ماذا يريد منه الضابط . حسب ان في الامر بعض القضايا التجارية أو غيرها.

ذهب .

وصل الى مكتب الضابط .

سأله هذا : أنت خير ؟

أجاب خير : نعم أنا خير .

قال الضابط : لأ ، انت مش خير ، انت (...) .

استغرب خير . وسأله : لماذا تهينني ؟

قال الضابط : أنت عملت قصيدة لكميل شمعون . مش عارف انو ما في غير شهاب ؟

طلع الصوت .

يقال ان خير وجّه كلاما غير لائق الى الضابط.

ويقال أيضا انه قال له ذلك بعدما نشره الضابط من فوق الى تحت .

ثم علقت .

ورمي خير أرضا وتناوب عليه من في الغرفة « تأديبا » الى ان تغيرت معالم وجهه . وفيما أحدهم يضع رجله على صدر خير تطلع نحو صورة شهاب وسأله : صورة مين هيدي ؟

أجابه خير : هيدا الرئيس شهاب .

ثلاثة أحداث اشتركت في ترسيخ دور المكتب الثاني: إستقالة شهاب، الإنقلاب الفاشل، إزدواجية عهد شارل حلو

ـــ لأ ، هيدا الله .

خير : أنا مؤمن وبعرف في الله واحد . هيدا شهاب .

ثم تابع الحضور عملية « التأديب » الى أن غطى الدم وجه خير وجسده وتمزقت ثيابه .

رجع اده الى مجلس الوزراء بعدما سمع التفاصيل وقال للرئيس شهاب : « زبوناتك الهمشرية كمشوا فيليب خير وفظعوا فيه . وهيدا تاجر وآدمي ما بيعمل شي . أنا بعتبر نفسي مستقيل الا اذا زبوناتك بيخبروك عن السبب » .

لسوء الحظ أو لحسن الحظ كان التلفون مقطوعا في غرفة مجلس الوزراء . ذهب شهاب الى غرفة ثانية واتصل بالمكتب الثاني وسألهم عن القصة . ثم أمرهم باطلاق خير فورا .

ريمون اده يقول ان المكتب الثاني أقدم على هذا العمل قصدا « لانه خاف من الثقة المتبادلة بين الرئيس شهاب وبيني » .

السقوط المريع

بالطبع لم يتوقف المكتب الثاني عند هذه الحادثة ، اذ انه كان وضع نفسه على طريق الحكم ، ولهذا تبعت تلك الحادثة حوادث أخرى مماثلة في القصد والغاية ، ومتشابهة في أساليب التنفيذ .

وحادثة الاعتداء على صحافي بموسى حلاقة في الشارع وفي وضح النهار ، وحادثة الاعتداء على النائب نسيم مجدلاني ، وان جاءت متأخرة من حيث التاريخ ، الا انها نفذت وفق الخطة التي وضعها المكتب الثاني والرامية الى جعل كل شيء ممكنا ومستهانا به ، فتسقط بذلك كل الهالات وتبقى هالة وحيدة لقوة وحيدة هي هالة المكتب الثاني من بعد هالة فؤاد شهاب .

والواقع انه ، بواسطة الاساليب التي تدرب عليها المكتب الثاني وتفنن في اخراجها وتطبيقها ، تم السقوط المريع الذى قال عنه ريمون اده انه يشبه سقوط الامبراطورية الرومانية بفظاعته .

ضاعت هيبة الصحافة .

وضاعت هيبة المجلس .

وضاعت هيبة الوزراء .

وتبعا لذلك ضاعت هيبات عدة .

وبدأ التنقير من كل جهة :

نواب يزحفون على بطونهم ، ونواب يحاولون وقف الزحف . لكن برغم ذلك لم يكن شأن المكتب الثاني قد وصل الى الحد الذي يصعب معه كل علاج .

كان هناك أمل ، ولو يائس ، في ان يعيد شهاب النظر في تركيبة التعاون التي فرضت بينه وبين« الهمشرية » كما يسمي العسكريين .

وبعد حادثة خير ، التي لم تشكل أي صدام بين شهاب واده، وقعت حادثة جفلت عميد الكتلة الوطنية . وتفاصيل تلك الحادثة انه في احدى جلسات مجلس الوزراء اثار اده قضية تعيين بعض الضباط في الادارات العامة .

وليس من الضروري اعادة الحوار بين شهاب واده والذي كتب على ورقة لا يزال العميد يحتفظ بها .

يومها جفل اده بالفعل .

قال في أحد مجالسه ان شهاب سيعتمد على العسكريين ، كما يبدو ، من دون ان يأخذ بعين الاعتبار مدى الخطورة التي ترافق هذه الخطوة .

وترك اده الوزارة بينما البلاد نتهيأ للدخول في الانتخابات العامة .

هنا لا بد من الاشارة الى تجربة أخرى دخلها اده مع المكتب الثاني في انتخابات الشوف الفرعية على اثر مقتل نعيم مغبغب .

في الانتخابات النيابية التي جرت صيف ١٩٦٠ ، أخذ كل الناس علما بالمكتب الثاني . وثمة من يرجح أن المكتب الثاني اراد ، عن سابق تصور وتصميم ، ان يعطي نفسه حجم القضية العامة، بحيث يصبح فريقا مباشرا في الحكم وفي النزاع عليه ، ويصل عن طريق الجدل حوله الى حيث وصل في ذروة مجده .

انتخابات ١٩٦٠ ، برغم ما شهدته ، وبرغم سقوط المرشحين الذين أذاعوا البيانات عن الضغط والتزوير والتدخل والارهاب ، كانت بالنسبة الى ما جرى بعدها وما جرت اليه ، مجرد تجربة ... ناجحة للمكتب الثاني .

ويقال ، وبعضهم يجزم ، ان لولا تجاوب بعض السياسيين من وزراء ونواب وطامحين الى ان يصبحوا نوابا ووزراء ، ولولا تسابق اصحاب المصالح والمطامع الى التسكع على أبواب المكتب الثاني ، لما كان الذي حدث على مر هذه السنين الطويلة قد حدث .

وأطرف ما شهدته تلك الانتخابات ، والطرافة هنا ليست للتلميح ، حادثة خطف ضابط المكتب الثاني جوزف كيلاني التي وقعت تفاصيلها على النحو الآتي :

كان العميد ريمون اده يقوم بجولة على أقلام الاقتراع في بيروت ، حيث يخوض معركتها شقيقه بيار ، وهو راكب في سيارة

ضربوا فيليب خير وأمعنوا في ضربه لأنه لم يعترف بأن فؤاد شهاب هو الله!

المرحوم اميل البستاني التي فيها لاسلكي ، وبرفقته النائب نهاد بويز .

وعندما وصل الى كمب شرشبوك وجد في الطريق قتيلا مرميا في الارض ، ولا أحد يقترب منه ، وشاهد على مسافة خمسة أمتار من القتيل شخصا يرتدي قميصا أحمر وبنطلونا عاديا ، ويتحدث الى الناس ويؤشر بيديه.
كان مع اده في السيارة شخص أرمني فأرسله كي يستطلع القصة. راح الارمني وعاد ليقول لإده انه سمع الرجل ذا القميص الاحمر يقول للناس المجتمعين : « اذا حدا منكم بيصوِّت لبيار اده بيكون مصيره مثل مصير هالكلب » (أي القتيل المرمي) .

تقدم اده منه وسأله : انت أرمني ؟

أجابه الشخص : أنا ضابط .

قال اده : ضابط ولابس هيك ؟
الشخص : ما بيخصك .

نزل اده من السيارة هو وبويز والارمني وحملوا كيلاني الى السيارة وساروا به الى ان صادفهم أول حاجز لقوى الامن ، فراح كيلاني يصرخ : « أنا الضابط جوزف كيلاني واده خاطفني » . قال لهم اده : « شو بدكم فيه ما تصدقوه » .

... حتى وصلت سيارة اده الى الطريق العام حيث صودف وجود عدد من الضباط ، فصرخ كيلاني مرة أخرى وصار يقول انه ضابط وان اده خاطفه .

قال اده للضباط : « انا لا اعرفه . وجدناه هناك والى جانبه قتيل . اذا كان صحيح ضابط في الجيش فأنا آخذه الان عند معلمه. الا اذا واحد منكم يتعهد لي بشرفه العسكري بأن يوصله الى عند معلمو لاني انا رايح الى هناك ».

تعهد احدهم . اعطاهم اده اياه وتابع طريقه الى وزارة الدفاع ، فاستقبله انطون سعد بطريقة ودية .

قال اده : باعتلي جوزف كيلاني يهدد الارمن بالقتل اذا بينتخبوا بيار اده . على كل حال خطفتلك ياه وجبتوا معي وهلق بيوصلك .
سعد : مش ممكن .
اده : بلى ممكن ، خطفتو من كمب شرشبوك .
وصل الكيلاني ، فثار في وجهه سعد بحضور العميد ، ووبخه قائلا : كيف بتخللي حدا يخطفك ؟
وأحيل اده على المحكمة العسكرية بتهمة خطف ضابط ، لكنه لم يحكم .

الاستقالة التمثيلية

انتخابات ١٩٦٠ النيابة كانت نهاية مرحلة وبداية مرحلة بالنسبة الى المكتب الثاني .

لقد جاءت الى المجلس النيابي أكثرية عددية شعرت سلفا بأنها وصلت الى ساحة النجمة بفضل نشاط المكتب الثاني . وعلى هذا باتت السيطرة على المجلس مؤمنة الى حد وممكنة . ويقول السياسيون ان المكتب الثاني كان خائفا ان يصطدم نفوذه بردات الفعل التي كانت لا تزال تجري في غير مصلحة فؤاد شهاب على صعيد الرأي العام ، وفي مجالات سياسية معينة .

وما كادت المرحلة الاخيرة من الانتخاب تنتهي وبالضبط في تموز ١٩٦٠ ، حتى حدث شيء في البلاد وتلخبطت الناس في تفسير ما حدث : استقال الرئيس شهاب !

استقال ؟

انشغلت البلاد بالخبر .

نواب طاروا الى الكسليك حيث الشيخ بشارة الخوري ونواب طاروا الى جونيه يحاولون ثني شهاب عن عزمه وتمزيق استقالته . وضرب الرئيس حماده وبعض النواب النهجيين النفير ودبوا الصوت واتجه الزحف نحو جونيه .

وبينما النواب يتحلقون حول الرئيس المستقيل كان المكتب الثاني يوعز ، بواسطة عملائه ، الى الناس بالتظاهر ضد الاستقالة ودق الاجراس وفتح الكنائس وتطيير برقيات الاحتجاج والمطالبة بعودة شهاب عن استقالته .

وبالطبع لعلع الرصاص في بعض المناطق كما لعلع في جونيه أمام منزل الرئيس .

بهدوء ،وبعيدا عن جو النواب الذين تجمعوا كلهم في جونيه ، ثمة أناس كانوا منصرفين الى تحليل أسباب الاستقالة والغاية منها . وكان هؤلاء الناس متأكدين من ان شهاب سيمزق الاستقالة وانه سيعود الى رئاسة الجمهورية لانه ليس زاهدا كما أراد أن يصور للناس .

الاستنتاج الواقعي ، الذي تبناه من يعرف فؤاد شهاب ونفسيته، ومن يعرف خطط المكتب الثاني الرامية الى السيطرة لفترة طويلة ، كان ما يأتي :

أولا — ان الاستقالة ألفت ولحنت وأخرجت بالتفاهم بين شهاب والمكتب الثاني .

ثانيا — جاء توقيت الاستقالة بعد الانتهاء من الانتخابات التي دمغت بالتزوير والتدخل ، كي ينسى الناس ذلك . وبالفعل نسي الناس ، عندما بدأ المكتب الثاني يدخلهم في أدوار جديدة .

ثالثا — كان هم شهاب أن يكون رئيسا للجمهورية بارادة الفريق الآخر أيضا ، الفريق الذي كان حتى ذلك التاريخ يتهم شهاب بأنه كان وراء الثورة . وتوخى شهاب ان تؤمن الاستقالة جوا من الاجماع حوله يمكنه من ان يكون هو سيد المجلس ، يولي من يشاء رئاسة الحكومة ويوزِّر من يشاء ويفعل ما يشاء . المكتب الثاني أصبح بعد تلك الاستقالة يمنن الناس والنواب صباحا ومساء بأن « الزاهد » ما كان يريد الحكم لولا اجماع النواب مرة أخرى والحاحهم عليه حتى حرق الاستقالة .

رابعا — كان شهاب يريد ان يفهم صائب سلام ، الذي كان مرشحا طبيعيا لتأليف الحكومة الجديدة ، ان المجلس النيابي في يده وان الاكثرية اكثرية شهاب . وثمة من يقول انه كان ينوي تكليف شخص آخر غير سلام لو لم يكن سلام بارعا وحكيما وقويا .

وفي السنوات الاخيرة اقتنع الجميع تقريبا بأن استقالة شهاب كانت تمثيلية . وهذا ما ذكره الرئيس سلام والعميد اده وغيرهما في خطب ألقيت في المجلس النيابي .

ويروي الذين كانوا من داخل في تلك المرحلة انه بعد الاستقالة تغير كل شيء . صار المكتب الثاني يتدخل في كل شاردة وواردة بصورة أكثر علانية . وصار الصحافيون، مثلا ، لا يستغربون اذا طلب منهم ضابط من المكتب الثاني الاهتمام بهذا الخبر أو اهمال ذاك الخبر أو كتابة خبر ملغوم عن أحد السياسيين أو يوصي برسم كاريكاتور معيَّن .

وصار النواب ، بدورهم ، يألفون الصعود الى حيث المكتب الثاني والوقوف أمام الابواب لطلب توظيف أحد الانصار أو طلب اصلاح احدى الطرق أو طلب الموافقة على مشروع معين.

ذلك ان شهاب كان يحيل النواب الذين كانوا يراجعونه في هذه القضايا على أحد الضباط في القصر . وكان الضابط يحيلهم بدوره على « الشباب » ، لا على الوزراء ولا على المديرين ولا على أحد .

دخلوا الحياة السياسية وأصبحوا الكل بالكل .

ودخلوا الحياة العامة .

وباتت مألوفة دعوة الضابط الفلاني من الشعبة الثانية الى حفلة ساهرة والى سهرة في احد بيوتات بيروت المعروفة .

غلطة الحزب القومي

في هذا الوقت ، وبينما نجم المكتب الثاني يتألق، وقعت محاولة الانقلاب الفاشلة وحدث ما حدث على أثرها من اعتقالات وردود فعل تعيش صورها في مئات الذاكرات الى اليوم . وربما الى زمن لن تمحى بسهولة .

وقتها وقف ريمون اده يطالب في المجلس بمراعاة شرعة حقوق الانسان وعدم ضرب المعتقلين وعدم جلدهم .

لكن الاعتقالات استمرت ، والمدينة الرياضية بالاضافة الى العديد من الثكنات امتلأت بالناس . وما طالب به اده ، وسط ذاك الطوفان ، لم يكن من السهل تحقيقه أو تلبيته .

وما قيل حول موت الذين قالت البلاغات الرسمية انهم قتلوا أثناء محاولتهم الفرار ، قيل عكسه في روايات تشبه الخيال ، انما أثير بعضه على انه حقيقة أثناء المحاكمات وانه مدعوم بوثائق واثباتات .

وحتى الان لا يزال المتنيون يتذكرون الصور عن حفلات الجلد في الساحات العامة والتي شملت ١٣ قرية .

وطبيعي القول ، من غير حاجة الى الاستنتاج ، ان المكتب الثاني كان المستفيد الاكبر من غلطة الحزب القومي . فقد تحول الانقلاب الفاشل الى أرض خصبة للاستغلال من كل النواحي وعلى كل صعيد .

فبحجة المحافظة على الامن ، وبحجة المحافظة على النظام والشرعية ، وبحجة المحافظة على الكيان ، وبحجة مطاردة القوميين المشتركين في المحاولة ، وبحجة أن كل لبناني تقريبا قومي الى ان يثبت العكس ، وبحجة ان ضباطا تعرضوا للخطف على أيدي مدنيين وبالتالي تعرضوا للاهانة ، بحجة كل ذلك بقي الناس ينزلون من السيارات ويرفعون ايديهم ويفتشون عن هوياتهم الى الامس القريب الذي لا يتعدى الصيف الماضي .

فتح الشباب على حسابهم وصاروا بعبعا بالفعل ، انما باسم شهاب والشهابية والوحدة الوطنية والعدالة الاجتماعية والتخطيط والخطط وايرفد والاب لوبريه والانماء والمشاريع .

وخلال بعض الظواهر اخذت تتضح ملامح الدعوة الى التجديد وتهيئة البلاد لست سنوات شهابية أخرى .

صار الناس يفاجأون بلافتات ترتفع باسم «قوى» و «شباب» و « احياء » و « وحركات » لم يسمعوا بها من قبل وكلها تطالب شهاب بالاستمرار في « قيادة السفينة » وايصالها الى «شاطىء الامان » وتناشده قائلة « لا تتركنا في بحر هائج » .

الجو الذي خلقه المكتب الثاني قبل حلول موعد انتخابات رئاسة الجمهورية بسنتين ، أبقى البلاد في « المناخ » الذي خلق بعد الانقلاب الفاشل .

وفي الانتخابات النيابية التي جرت عام ١٩٦٤ صال «الشباب» وجالوا من دون ان يجرؤ أحد على التصدي لصهوة حصانهم . فسقط كميل شمعون وريمون اده وكاظم الخليل وسليمان العلي وجميع الذين لم يخوضوا الانتخابات تحت شعار « التجديد للرئيس القائد » .

الهو هو هو

قبل ذلك لا بد من العودة قليلا الى الصحف ومراجعة صفحاتها والتمعن في الاخبار التي كانت تكتب حول المكتب الثاني وكيف كانت هذه الصحف تذكر اسم المكتب بالرمز والغمز والتلميح عند شق عصا الخوف .

لقد حرِّم ذكر المكتب الثاني .

الذي يتجرأ ويذكره ... ماذا يحدث له ؟

يعرف اللبنانيون .

على الاقل ٧٠ في المئة منهم يعرفون .

محرمات . حتى النواب ، وفي أثناء الجلسات النيابية ، كانوا يشيرون الى المكتب الثاني بالاسم الرمزي . ما عدا الرئيسين كامل الاسعد وصائب سلام والعميد ريمون اده .

من الشعبة الثانية الى المكتب الثاني . ثم اختفى الاسم والتشبيه . حتى كلمة « ثاني » صارت تسترعي انتباه احد العملاء الذين توزعوا بين الناس في كل مكان وفي كل مقهى وفي كل بيت .

بعد التحريم أصبح اسم المكتب الثاني « الجهاز المعروف » . ثم « الجهات النافذة » . ثم « الاخوان » . ثم « العيون » . ثم « الفوسفور » . ثم « النجوم » . ثم « الجماعة » . ثم « جماعة الهو هو هو » . ثم « المقامات الشهابية » .

ذلك بأن بعض الصحف التي لم تكن تساير المكتب الثاني والضابط المكلف شؤون الصحافة والاعلام ، كانت مشاويرها الى المحكمة العسكرية أكثر من الهم على القلب .

عدّلوا القوانين بما يتيح لهم التمكن من الصحافة .

عدلوا حتى « اسلوب » كتابة الاخبار والتعليقات .

صاروا موجودين حتى في التعابير التي الزموا اصدقاءهم من الكتاب والصحافيين ان يستعملوها في الكتابة .

لقد استهلك السياسيون والصحافيون جميع النعوت والرموز في معرض تحدثهم عن المكتب الثاني وأعماله سواء في السلب او في الايجاب ، الى درجة ان فريقا من النواب المنتمين الى المكتب الثاني كانوا يكسرون طاولات المجلس احتجاجا عندما يبدأ العميد اده بالحديث عن « الجهاز » .

وتقوم القيامة .

ذهب شهاب وبقوا

الآن نصل الى التجديد .

المعارضة تعمل بكل قوتها على قطع الطريق على التجديد لشهاب او المجيء بشهابي آخر . لكن المعارضة ليست أكثرية والشهابيون استطاعوا ان يؤمنوا أكثرية عددية هائلة لتعديل الدستور . وكاد التعديل يتم ، وكاد التجديد يتم ، لكن الرئيس كامل الاسعد وجد مخرجا ، وجده بالصدفة ، طيَّر بواسطته التجديد من أساسه وطار شهاب على أثره . على أن الشهابية بقيت ، وبقيت المقامات الشهابية ، وبقي الجهاز المعروف ، وبقيت الجهات النافذة ، ودفع الرئيس الاسعد ثمن « الاستئناس » الذي تسلح به كعذر لعدم السير في التجديد ، الكثير من الاضطهاد وتشليح النواب الذين ينجحون على لوائحه بعدما تكون لوائحه قد تعرضت للمحاربة والتدخل والتسقيط .

ذهب شهاب وبقي المكتب الثاني يعشش في جوار الرئيس شارل حلو ويسكن معه ... ويسكنه حتى ويغل يديه ويمنعه من التصرف الا وفق المصلحة الشهابية .

والذين توهموا ان سلطة المكتب الثاني ستنتقل الى السلطة الجديدة ، بعد ذهاب شهاب ، اكتشفوا انهم كانوا موهومين فعلا وان حسابات الحقل خدعتهم على البيدر ، وان الرئيس حلو وقع اسير المحبسين .

حاول في البدء ان يعالج قضية « الاخوان » بالدرس ويغطي عدم تمكنه منهم بالتردد حينا وبالتأجيل أحيانا . في استشارات نيابية أجراها على اثر استقالة حكومة الرئيس عبدالله اليافي ، رشحت الاكثرية النيابية الرئيس صائب سلام لتأليف الحكومة ... لكنهم لم يخلوه يكلفه .

وصار اسم المكتب الثاني في عهد شارل حلو « الازدواجية » .

الازدواجية في القصر .
الازدواجية في السراي .
الازدواجية في المجلس .
الازدواجية في الوزارات .
الازدواجية في الدوائر .
الازدواجية طالعة ، الازدواجية نازلة .

الصحف التي كانت تخترع الرموز والنعوت لتذكر المكتب الثاني ارتاحت الى اكتشاف المخرج الجديد : الازدواجية .

والازدواجية كانت تحاصر شارل حلو ليس من أجل الاستمرار فقط ، بل من أجل العودة ، عودة الزاهد ، المنقذ ، الربان ، القائد ... او على الاقل من أجل مجيء الياوران اذا تعذرت العودة .

وكما خاض المكتب الثاني الانتخابات النيابية عام ١٩٦٤ تحت شعار التجديد ، خاضها عام ١٩٦٨ تحت شعار العودة . لكنه لم يتمكن من تحقيق كل أغراضه فيها لان الحلف الثلاثي كان قد قام ، وكان الرئيس سليمان فرنجيه وزيرا للداخلية ، وكان هنري فرعون وزير دولة .

ومع ذلك أسقطوا جوزف سكاف وسليمان العلي وكاظم الخليل .

وعلى اثر انتخابات البقاع قدم الرئيس فرنجيه استقالته احتجاجا على تدخل المكتب الثاني . واستقال كذلك هنري فرعون معللا استقالته بكتاب أورد فيه الاسباب . الاسباب ؟ المكتب الثاني .

وكما لم يتمكن المكتب الثاني من التجديد لشهاب ، وهو متمتع بالاكثرية ، كذلك لم يتمكن من اعادته وهو مفتقر الى الاكثرية. لكن كانت هناك قصة جديدة . قصة الياوران .

بالطبع ليس من ينسى قصة الميراج .

وكيف طار قائد الجيش السابق اميل بستاني وما قيل من انه كان يعد تشكيلات بين ضباط المكتب الثاني ... فسبقوه .

وليس من ينسى قضية الفدائيين ، وما قاله العميد اده من أن شهاب والمكتب الثاني وراءها . وحوادث نيسان وما قاله الرئيس صائب سلام عنها في المجلس .

وحوادث ٢٤ تشرين الاول ورسالة « فتح » الى اللبنانيين حولها .

وليس من ينسى خطب الرئيس سلام والعميد اده ، سواء في المجلس او في المناسبات ، او في الاحتفالات ، حول المكتب الثاني .

وليس من ينسى ما قيل عن انهيار بنك انترا ، وما قيل عن أسباب انهيار المصارف الاخرى ، خصوصا انهيار ادريان جدي .

الحديث طويل طويل .

لكن ، قد لا يكون اوان الحديث الطويل قد حان بعد ، خاصة لان المكتب الثاني لا يزال من القضايا الرئيسية التي تشغل الحكم هذه الايام .